
مادة: العقيدة والأديان
مقرر: الفرق الإسلامية
الدكتور
ياسين السالمي



أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية



المحاضرة الخامسة عشرة



أهل الحديث







اشتهر مصطلح أهل الحديث، بعد مصطلح أهل السنة، الذي تم تداوله في بدية الأمر كتسمية تدل على التمايز في الحقل الفقهي أكثر من تداوله في الحقل العقدي. لكن في القرن الثالث الهجري ظهرت بشكل بارز في الارتباط بالحقل العقدي.



تنبيه: مصطلح أهل السنة

يقول ابن تيمية: "فلفظ "أهل السنة" يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة".



«أهل الحديث» في كتب الفرق

مقالة أهل الحديث عند الأشعري



يقول أبو الحسن الأشعري:

"هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة:
جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، لا يردون من ذلك شيئاً..".

مقالات الإسلاميين



تعليق ابن تيمية على كلام الأشعري

يقول ابن تيمية:

"ولهذا لما صنف كتابه في مقالات الإسلاميين ذكر مقالات أهل الكلام واختلافهم على التفصيل. وأما أهل الحديث والسنة فلم يذكر عنهم إلا جملة مقالات، مع أن لهم في تفاصيل تلك من الأقوال أكثر مما لأهل الكلام، وذكر الخلاف بين أهل الكلام في الدقيق فلم يذكر النزاع بين أهل الحديث في الدقيق، وبينهم منازعات في أمور دقيقة لطيفة، كمسألة اللفظ، ونقصان الإيمان، وتفضيل عثمان، وبعض أحاديث الصفات، ونفي لفظ الجبر، وغير ذلك من دقيق القول ولطيفه".

الفتاوى الكبرى



مقالة السلف عند الشهرستاني

يقول الشهرستاني:

"اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون الله تعالى صفاته أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه، ولا يؤولون ذلك، إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع، فنسميها صفات خبرية. ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة".

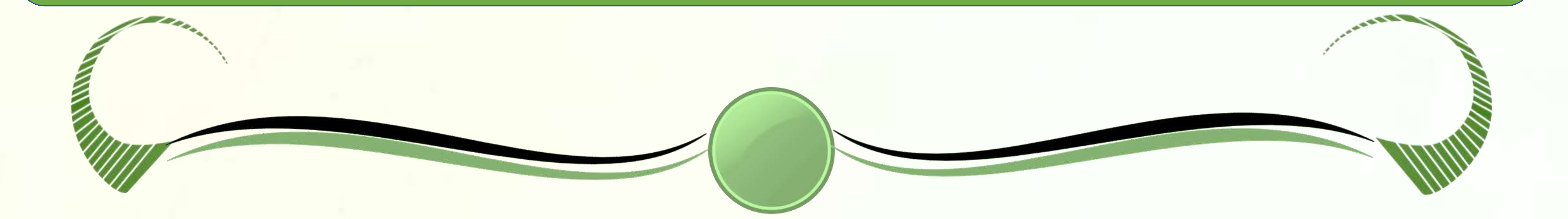
الملل والنحل



تدوين معتقد أهل الحديث

إفراد أبواب خاصة من كتب عامة في الحديث





الجامع لمعمر بن راشد (ت153هـ): وفيه من أبواب العقيدة: باب القدر، باب الإسلام والإيمان، باب المهدي، باب من يخرج من النار.

الموطأ لمالك (ت179هـ): باب النهي عن القول بالقدر، باب ما جاء في القدر.

إفراد أبواب خاصة في العقيدة



عمر بن عبد العزيز (ت101هـ): رسالة في الرد على القدرية.

حماد بن سلمة (ت167هـ): كتاب الصفات.

الإمام مالك (ت179هـ): رسالة إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية.

ابن وهب (ت197هـ): القدر.

أبو بكر الحميدي (ت219هـ): السنة.

أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ): الإيمان.



إفراد أبواب خاصة في العقيدة

نعيم بن حماد (ت228هـ): الصفات والرد على الجهمية.

ابن أبي شيبة (ت235هـ): 1. السنة. 2. الإيمان.

عبد الملك بن حبيب (ت238هـ): فضائل الصحابة.

عبد العزيز الكناني (ت240هـ): الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن.

أحمد بن حنبل (ت241هـ): 1. الرؤية. 2. الرد على الزنادقة والجهمية. 3. السنة. جواب الإمام أحمد عن سؤال في خلق القرآن.

إفراد أبواب خاصة في العقيدة



البخاري (ت256هـ): 1. خلق أفعال العباد.

أبو زرعة الرازي (ت264هـ): 1. الرد على أهل الأهواء. 2. أصول السنة واعتقاد الدين.

أبو داود (ت275هـ): 1. الرد على أهل القدر. 2. دلائل النبوة.

ابن قتيبة (ت276هـ): 1. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة. 2. فضائل أبي بكر الصديق.

إفراد أبواب خاصة في العقيدة



أبو حاتم الرازي (ت277هـ): السنة.

عثمان بن سعيد الدارمي (ت280هـ): 1. النقض على بشر المريسي. 2. الرد على الجهمية.

أبو عبد الرحمن النسائي (ت303هـ): مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسم من المهاجرين والأنصار والنساء.

ابن جرير الطبري (ت310هـ): 1. صريح السنة. 2. التبصير في معالم الدين.

ابن خزيمة (ت311هـ): 1. التوحيد. 2. القدر.



تنبيه: الحنبلية وأهل الحديث

علاقة الحنبلية بأهل الحديث



أهل الحديث

الحنبلية





يقول ابن تيمية:

"وأهل البدع في غير الحنبلية أكثر منهم في الحنبلية بوجوه كثيرة ... وفي الحنبلية أيضا مبتدعة؛ وإن كانت البدعة في غيرهم أكثر، وبدعتهم غالبا في زيادة الإثبات في حق الله، وفي زيادة الإنكار على مخالفهم بالتكفير وغيره".

مجموع الفتاوى



أنواع الحنبلية



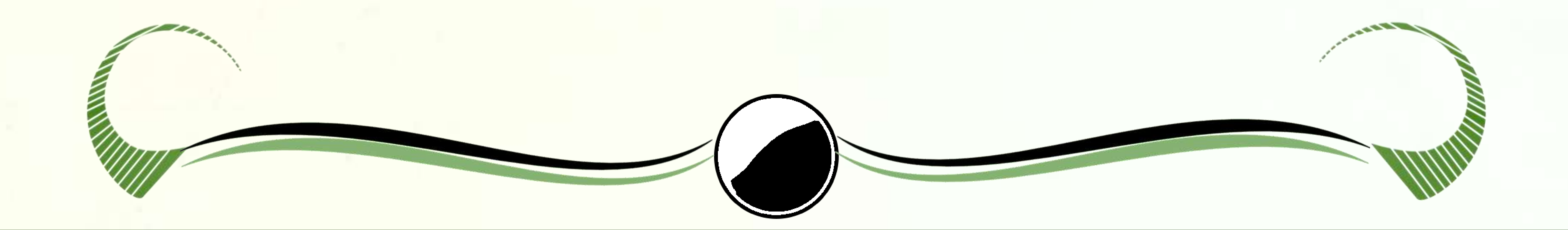
1. الحنبلية الموافقة لأهل الحديث في النفي والإثبات

ومن هؤلاء: ابن بطة (ت387هـ). وابن منده (ت395هـ). وابن قدامة (ت620هـ).
وهو المنهج الذي يبنيه ابن قدامة بقوله:
"ومذهب السلف -رحمة الله عليهم- الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها".

ذم التأويل



2. الحنبلية التي مالت إلى التأويل



وعلى هذه الطريقة سار التميميون من الحنابلة الذين تقاربوا مع الأشاعرة، وهم أبو الحسن التميمي (ت371هـ)، وعبد الواحد التميمي (ت401هـ) -وهو صديق الباقلاني-، ورزق الله التميمي (ت488هـ).



2. الحنبلية التي مالت إلى التأويل

يقول ابن تيمية: "ولهذا لما كان أبو الحسن الأشعري وأصحابه منتسبين إلى السنة والجماعة، كان منتحلا للإمام أحمد ذاكرا أنه مقتد به متبع سبيله، وكان بين أعيان أصحابه من الموافقة والمؤالفة لكثير من أصحاب الإمام أحمد ما هو معروف، حتى إن أبا بكر عبد العزيز يذكر من حجج أبي الحسن في كلامه مثل ما يذكر من حجج أصحابه لأنه كان عنده من متكلمة أصحابه.

وكان من أعظم المائلين إليهم التميميون: أبو الحسن التميمي وابنه وابن ابنه ونحوهم؛ وكان بين أبي الحسن التميمي وبين القاضي أبي بكر بن الباقلاني من المودة والصحبة ما هو معروف مشهور".

مجموع الفتاوى



2. الحنبلية التي مالت إلى التأويل

يقول ابن تيمية:

"وأما ابن عقيل فإذا انحرف وقع في كلامه مادة قوية معتزلية في الصفات والقدر وكرامات الأولياء؛ بحيث يكون الأشعري أحسن قولا منه وأقرب إلى السنة".

مجموع الفتاوى



3. الحنبلية التي مالت إلى الإثبات

من هذا الصنف ابن حامد (ت403هـ). وأبو يعلى الفراء (ت458هـ). وابن الزاغوني (ت427هـ).

وقد ألف أبو يعلى كتابا يبين موقفه من الإثبات بعنوان: "إبطال التأويلات". ردا على ابن فروك في كتابه "مشكل الحديث". وبالغ في الإثبات، حتى أحدث فتنة بسبب ذلك، يقول الذهبي: "وجمع كتاب (إبطال تأويل الصفات) فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع، فخرج إلى العلماء من القادر بالله المعتقد الذي جمعه، وحمل إلى القادر كتاب (إبطال التأويل) فأعجبه، وجرت أمور وفتن.. ".

سير أعلام النبلاء



3. الحنبلية التي مالت إلى الإثبات

يقول ابن تيمية: "لكن يوجد في أهل الحديث مطلقا من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات أكثر مما يوجد في أهل الكلام، ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث؛ لأن الحديث إنما جاء بإثبات الصفات، ليس فيه شيء من النفي الذي انفرد به أهل الكلام. والكلام المأخوذ عن الجهمية والمعتزلة مبني على النفي المناقض لصرائح القرآن والحديث؛ بل والعقل الصريح أيضا؛ لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي، وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام، وزادوا في الإثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم، لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر".

مجموع الفتاوى



تطور مذهب أهل الحديث ومواقفهم من «الكلام»



مرحلة السكوت

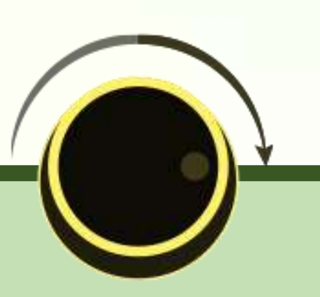
يقول الشاطبي:

"كان مالك بن أنس يقول: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك. ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل. فأما الكلام في الدين وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل".

الاعتصام



مرحلة الكلام الضروري



قال الشاطبي: "قال ابن عبد البر: ...

والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء قديما وحديثا من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف في ذلك أهل البدع - وأما الجماعة فعلى ما قال مالك رحمه الله. إلا أن يضطر أحد إلى الكلام، فلا يسعه السكوت إذا طمع في درء الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه، وخشي ضلالة عامة، أو نحو هذا".

الاعتصام

مرحلة الكلام الضروري



كانت المحنة من بين الضرورات التي وجب الكلام عندها.
فنجد الإمام أحمد قبل المحنة ناهيا عن مجادلة أهل البدع ومناظرتهم، بل إنه أنكر على من كتب في الرد عليهم، كإنكاره على ابن وهب كتابه في القدر.
لكن بعد محنة خلق القرآن (سنة218هـ)، انتقل أهل الحديث من موقف السكوت إلى موقف الكلام (الضروري/ الاستثنائي).
وفي ضوء ذلك كتب كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة" بعد أن كان ضد الكتابة، وتكلم بعدما كان يرى السكوت. لكن طبعا كلامه ليس من جنس كلام المتكلمين.



مرحلة الكلام الحاجي والتكميلي



يقول المقريزي:

" ..بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرّانيّ، فتصدّىٰ للانتصار لمذهب السلف، وبالغ في الردّ علىٰ مذهب الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم وعلىٰ الرافضة، وعلىٰ الصوفية، فافترق الناس فيه فريقان...".

المواعظ والاعتبار



مرحلة الكلام الحاجي والتكميلي



يقول ابن تيمية:

"[والسلف] والأئمة ذموا أهل الكلام المبتدعين؛ الذين خالفوا الكتاب والسنّة. ومن خالف الكتاب والسنة لم يكن كلامه إلا باطلاً؛ فالكلام الذي ذمّه السلف يُذمّ لأنّه باطل، ولأنّه يُخالف الشرع".

النبوات



مقدمات



العقل والنقل

تقديم العقل علىٰ النقل عند المتكلمين



يقول بعض المتكلمين:

إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية:

- فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين،
- وإما أن يردا جميعاً،
- وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً،
- فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول، وإما أن يفوض.



موقف ابن تيمية من تعارض العقل والنقل



يقال: إذا قيل: تعارض دليلان، سواء كانا سمعيين أو عقليين، أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً، فالواجب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين، أو يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً.



موقف ابن تيمية من تعارض العقل والنقل

فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما؛ سواء كانا عقليين أو سمعيين، أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً، وهذا متفق عليه بين العقلاء، لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله، ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة.

وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فإنه يجب تقديمه باتفاق العقلاء، سواء كان هو السمعي أو العقلي، فإن الظن لا يرفع اليقين.

وأما إن كانا جميعاً ظنيين؛ فإنه يصار إلي طلب ترجيح أحدهما، فأيهما ترجح كان هو المقدم، سواء كان سميعاً أو عقلياً.





يقول ابن تيمية:

"ودلالة القرآن علىٰ الأمور نوعان:

أحدهما: خبر الله الصادق، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله به.

والثاني: دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة علىٰ المطلوب. فهذه دلالة شرعية عقلية؛ فهي [شرعية] لأن الشرع دل عليها، وأرشد إليها؛ و [عقلية] لأنها تعلم صحتها بالعقل. ولا يقال: إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر.

وإذا أخبر الله بالشيء، ودل عليه بالدلالات العقلية، صار مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليله العقلي الذي يعلم به، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمىٰ [الدلالة الشرعية]".

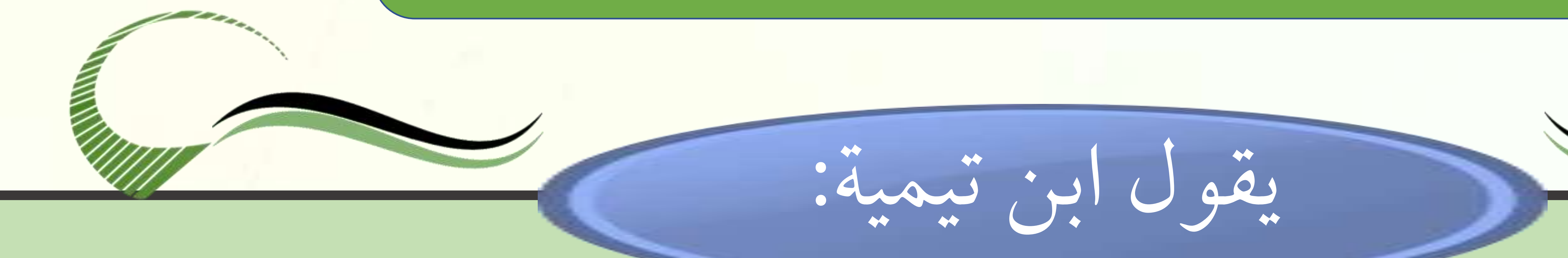
مجموع الفتاوىٰ



التوحيد



1. توحيد الألوهية



يقول ابن تيمية:

"التوحيد الذي في كتاب الله هو توحيد الألوهية، وهو أن لا تجعل معه ولا تدعو معه إلهاً غيره".

مجموعة الرسائل والمسائل

"فالتوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو أن يعبد الله وحده لا شريك له فهو توحيد الألوهية وهو مستلزم لتوحيد الربوبية".

الاستقامة



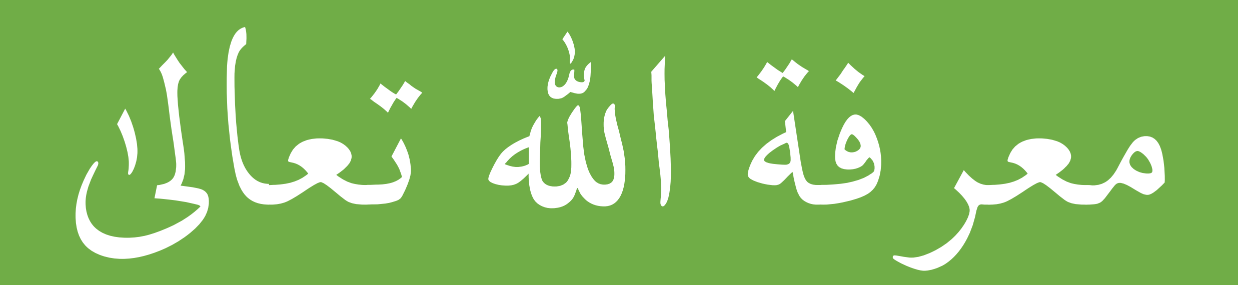
2. توحيد الربوبية



يقول ابن تيمية:

"توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه.
وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ﴾ [سورة لقمان: 25] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّـهِ﴾ الآيات [سورة المؤمنون: 86، 87] .
وقال عنهم ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّـهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: 106] .

منهاج السنة



معرفة الله تعالى





يقول ابن تيمية:

"الإقرار بالخالق فطري ضروري في جبلات الناس، لكن من الناس من فسدت فطرته، فاحتاج إلى دواء بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضرورية. وهذا الذي عليه جمهور الناس أن أصل المعرفة قد يقع ضروريا فطريا وقد يحتاج فيه إلى النظر والاستدلال.

وكثير من أهل الكلام يقول إنه لا يجوز أن تقع المعرفة ضرورية بل لا تقع إلا بنظر وكسب قالوا لأنها لو وقعت ضرورة لارتفع التكليف والامتحان، ومنهم من ادعى انتفاء ذلك في الواقع، وهذا ضعيف".

جامع الرسائل



3. توحيد الأسماء والصفات

وهذا الذي وقع فيه الاختلاف الأكبر بين أهل الحديث والمتكلمين.
وقد رأينا مجمل مذاهب المتكلمين في الصفات من قبل.
أما مذهب أهل الحديث، فيذكر أتباع المدرسة المتأخرين أنه مبني على أصول ثلاثة:

- الإثبات لما أثبته الله لنفسه
- نفي مماثلته تعالى لخلقه
- نفي العلم بالكيفية



ابن تيمية: مذهب السلف



يقول ابن تيمية:

"ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل... وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة".

الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ



مذهب السلف في الصفات الخبرية



التفويض: تفويض المعنى أم تفويض الكيف؟



يقول ابن تيمية:

"قوله (الرازي) عن مذهبهم: إنه يجب القطع أن مراد الله تعالى منها غير ظاهرها ويجب تفويض معناها إلى الله تعالى. فيقال: هذا الذي لا يعرف عن أحد من السلف رحمهم الله تعالى، لا يعرف عن أحد منهم أنه قال يجب القطع بأن مراد الله منها غير ظاهرها، ثم يجب تفويض معناها إلى الرب تعالى. بل المعروف عن السلف نفي تشبيهها ومماثلتها بصفات المخلوقين، وإنكارهم على الذين يقولون يد كيدي، وقدم كقدمي، ونزول كنزولي، واستواء كاستوائي، ونحو ذلك، فهذا ثابت صريح عن غير واحد من السلف وأئمة السنة".

بيان تلبيس الجهمية



معنى حمل الصفات على ظاهرها



يقول ابن تيمية:

"ولا يعرف أيضاً عن أحد من السلف أنه قال: إن مراد الله تعالى منها غير ظاهرها فضلا عن أن يقول يجب القطع بشيء. بل لفظ الظاهر مجمل، فقد يراد بالظاهر ما يماثل صفات المخلوقين، فهذا هو الذي نفاه السلف كما دل الكتاب على معنى ذلك، وكذلك العقل... وأما إذا قيل تحمل على الظاهر اللائق بجلال الله تعالى كما تحمل سائر الصفات مثل لفظ المشيئة والسمع والبصر والقدرة والعلم، فإن مثبتة الصفات يحملون هذه على ظاهرها عند عامة المسلمين إلا الغلاة المنكرون للأسماء، ومع هذا فليس مفهومها في حق الله تعالى مثل مفهومها في حق المخلوق".

بيان تلبيس الجهمية



التأويل

يقول ابن تيمية: "السلف فوضوا إلى الرب علم كيفيتها، كما قال مالك وربيعة: الاستواء معلوم والكيف مجهول. وكذلك قال ابن الماجشون والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم. وأما فهم معناها وتفسيرها فلم يكن السلف ينكرونه، ولا كانوا ينكرون التأويل بهذا المعنى، وإنما أنكروا تأويلات أهل التعطيل التي هي تحريف الكلم عن مواضعه... فلم يكن التأويل في عرفهم هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، بل كانوا يسمون التفسير تأويلاً، وما يؤول إليه اللفظ تأويلاً وإن وافق ظاهره".

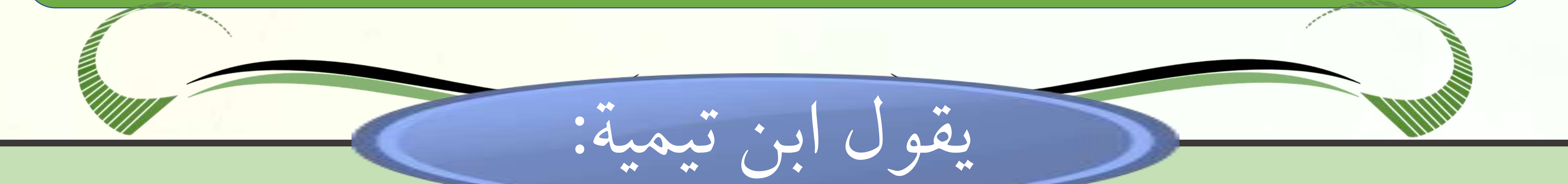
بيان تلبيس الجهمية



الصفات الاختيارية



الصفات الاختيارية



يقول ابن تيمية:

"الصفات الاختيارية: وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه؛ ومثل خلقه وإحسانه وعدله؛ ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة".

جامع الرسائل



إشكال يتعلق بـ:

الصفات الخبرية (الذاتية)

تؤدي إلى التشبيه

الصفات الاختيارية (الأفعال)

تؤدي إلى الحدوث

قيام الحوادث بذات الله تعالى



يقول ابن تيمية: "ثم القائلون بقيام فعله به،

- منهم من يقول: فعله قديم والمفعول متأخر، كما أن إرادته قديمة والمراد متأخر، كما يقول ذلك من يقوله من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم..
- ومنهم من يقول: بل هو حادث النوع، كما يقول ذلك من يقوله من الشيعة والمرجئة والكرامية.
- ومنهم من يقول: هو يقع بمشيئته وقدرته شيئا فشيئا لكنه لم يزل متصفا به، فهو حادث الآحاد قديم النوع، كما يقول ذلك من يقوله من أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد".

منهاج السنة

حوادث لا أول لها





يقول أهل التأويل:

لو جاز أن يفعل أفعالاً تقوم به بإرادته وقدرته للزم أن يكون محلاً للحوادث، وما قبل الشيء لا يخلو عنه وعن ضده، فيلزم تعاقبها، وما تعاقبت عليه الحوادث فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها.



حوادث لا أول لها



يجيز ابن تيمية تسلسل الحوادث لا إلى أول، ويميز بين نوعين من التسلسل

تسلسل في العلل والمؤثرات: وهذا ممنوع، لأنه يؤدي إلى القول بأن الخالق له خالق لا إلى أول.

تسلسل في الآثار: وهو تعاقب الحوادث والمخلوقات، شيئا بعد شيء. وهذا هو المقصود بحوادث لا أول لها.



أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية